تعريف وكلام عام (*)

﴿ في العربية والاستعراب ، والتعريب والاعراب ﴾

لا الاخذ بالتعريب يضرها ولا
الاعراب ينفعها وانما قصها
وضررها على حسب همم رجالها

كلام يجر الى كلام ، وحديث يسوق الى حديث ، والشيء بالشيء يذكر ، والند مع الند يقرر

ان مبحث التعريب الذي خطب فيه الفضلاء هذه الايام قد تدرج ببعضهم الى ذكر العرب والاستعراب ، ثم مال بفكري الى غير ما ذكروه من الابواب ، فاحببت ان اعرب الآن عن بعض ما جال بفكري مما يحوم حول هذا المبحث وهي موضوعات متعددة احببت ان أوحد الكلام فيها وآتي به مسلسلا بعضه ببعض فلعلك تعرف الكتاب من عنوانه ، وعساك تقف على ما يعجبك في شيء من بيانه

***

قال بعض الظرفاء اذا كان وطن العرب شبه جزيرتهم فرأس مالهم لا يزال كما هو والربح من بعده كثير

ونحن نأخذ هذا الكلام على وجهه من الجد صارفين النظر عن وجهه من الظرف ونقول نعم اننا نجد في عرب اليوم عرب أمس وزيادة

نجد هذا في اللغة والاخلاق والعادات والحالة الاجتماعية والسياسية والجغرافية ولعل القارئ اذا جلى امام نظره ما يشهد لهذا يظن نفسه في رواية تمثيلية، بيد أنها طبيعية لا صناعية ، وحقيقية لا خيالية ، ميادينها الفيافي والقفافد الواسعة ، لا دائرة صغيرة ضيقة ، وأبطالها الملايين الكثيرة لا نفر من الناس

(*) جاء تنا هذه المقالة من السيد عبد الحميد الزهراوي بعد طبع مقالة الاسكندري وتعليقنا عليها

ولو نشر اليوم احد الجدود الاقدمين في اوربا مثلا لأنكر فيها كل شيء ولكن لو نشر احد الجدود الاوربيين في شبه جزيرة العرب لما انكر فيها شيئا فان كل ماترك من مأوى ومركب وسلاح وماعون وكساء وغذاء وقبائل وملاحم ومغازي ومفاوز وفدافد يجد خلفاءه لم يحدثوا فيه حدثا ولم يعمدوا فيه الى تغيير

يجد الخيام من الاوبار والجلود ، ويجد السيوف والرماح والجانّ والدروع ويجد الصافنات والعاديات ، والقلائص والروامل والرواحل والعشار والبعلات ويجد الصاع والقصاع ، والبرم والقدور والقداح ، ويجد القمصان والعمائم والبرود ، والخفاف ، ويجد العصائد والخزائر والمراثس والبر والشعير والتمر والزبد واللبان ، ويجد بني صخر وبني حرب وبني عامر وبني وائل وبني بكر وبني طيء وبني فلان وفلان، ويجد حروبا بين هذه القبائل قائمة، ونيرانا مستعرة، يتواعدون الايام لمنازلاتهم، ويتربصون الفرص لمغازيهم ، ويجد يد الطبيعة لم تزل موضوعة على حالها في تلك الطلول والديار وهاتيك المنازل والمناهل لم تدن منها يد الصناعة في شيء من الاشياء

كانت جزيرة العرب اقساما وهي اليوم كما كانت : تهامة والحجاز واليمن وحضرموت وظفار والبحرين ونجد وبوادي الشام والعراق . كانت هذه البلاد تختلف وهي الآن كذلك . فتهامة والحجاز لم يكن فيها حرث وزرع الا قليلا وكان اهلها اولى شظف في العيش غالبا ولا يزال القوم على هذه الحال . واهل اليمن مع محافظتهم على جميع عادات العرب كان لهم حرث وزرع وهم اليوم هكذا . واهل حضرموت وظفار والبحرين كان لهم حظ بالتجارة والاتصال بالهند مع المحافظة على سنن العرب ولا يزالون اليوم على هذا المنوال . وكانت نجد كالحجاز الا في زيادة المزارع وهي الآن كذلك . وكانت بوادي الشام والعراق مابين قريب الى المعمور وبعيد عنه وشأنهم مع اصحاب المالك على حسب القرب والبعد وهي اليوم هكذا

وبالجملة كان اهل هذه الجزيرة رواد معايش وطلاب اداة وماعون ويتنقل من أجل ذلك كل قسم منهم بالبلاد القريبة منهم ويقتبسون منهم شيئا من

العادات والاعتقادات ويكون لهم معهم شأن من الشؤون في الروابط السياسية والاجتماعية وهذا المثال عينه مشاهد اليوم فيهم بالشام وقد عليه انهم كانوا في أنفسهم شعبا واحدا في لغة واحدة وبيئة واحدة وعادات واصطلاحات تكاد تكون واحدة

فالبيئة لم تتغير ولم يتطرق اليها انقسام جديد غير ما ذكر ، والعادات والاصطلاحات لم تتغير ولم يطرأ اليها من الروابط الا ما كان يطرأ مثلها من قبل . وكذلك اللغة لم تتغير . وكل من زعم تغيرها كان زعمه مبنيا على الظن والتخمين وضعف علم بالماضي والحاضر

فخارج المعروف في لغة هؤلاء لا تزال كما وصفها لنا الناقلون كسيبويه وغيره والمصادر التي نجدها منقولة عن العرب هي موجودة اليوم في لغة هؤلاء العرب الا ما أوجده بعض مدوني العلوم أخذاً من اللغة نفسها وجرياً على سننها

والاشتقاق من المصادر كله على حاله وجميع المشتقات تدور في لغة عرب اليوم على الوجه الصحيح واذا كنا نحن نتعلم بعض المشتقات تعلماً ويتكلف المتعلمون منا تصحيحها تكلفاً فانها موجودة لديهم بالفطرة يلقنونها وهم أطفال وتصير المرقة بها غريزية . قد سمعنا ذلك من صغارهم مثل كبارهم على حد سواء ولا يحتاج المخالف الا الى مجربة بسيطة

والالفاظ التي تدل على الأمور المحسوسة موجود منها في لغتهم كل ما هو في المعاجم الا ما حدث في عهد حضارتهم واتساع دولتهم وهذا المستثنى ليس دليلاً على تغيرها بل هو دليل على عدم تغيرها لأن بعض ما حدث في الحضارة لم يحدث لديهم فهم من هذه الجهة قد بقي لديهم رأس المال لم يتغير وما حدث في الحضارة هو زائد .

وقواعد التركيب وقوانين الترتيب من التقديم والتأخير والوصل والفصل والحصر والاظهار والاضمار والافراد والجمع والأدوات ومواقعها وتأثيرها باقية أيضاً كما هي

فاذا كانت المخارج محفوظة والمصادر دالة على حالها ، والاشتقاق لم تفسد طرائقه ، وأسماء الاشياء لم تتغير ، وقواعد التركيب وقوانين الترتيب وصيغ

الإفراد والتثنية والجموع والضمائر كما هي فأي تغير طرأ على لغة القوم؟

تجد المصري في مصر والشام مثلاً يقول النساء «راحوا» وهو خطأ لأن الواو ضمير الذكور، وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فانه يقول النساء «رحن» وهو الصواب كما نقل عن الأولين

وتجد المصري في مصر يقول «فلان يضرب» بفتح الراء، وفي الشام يقولون «يضرب» بضم الراء، وكلاهما خطأ وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فانه يقول «يضرب» بكسر الراء وهو الصواب كما نقل عن الأولين.

ولو أردنا ان نورد الشواهد لهذا لاحتجنا الى مجلدات فنحن نستغني عن هذا بأن نحيل من لم يثق بقولنا على التجربة ومخالطة هؤلاء العرب ولو قليلاً

وانما يصح أن نعد من التغير تركهم حركات أواخر الكلم. هذا اذا صح ان الأولين كانوا ينطقون بها دائماً واما اذا صح ما يذهب اليه بعضهم من ان الحركات لم يكن الاولون يستعملونها الا في لغة الشعر وحالات خصوصة فلا يكون هؤلاء مبتدعين بتركهم سنة من سنن الأولين ويصح ان نعد من التغير اهمالهم ضمير المثنى واهمالهم بعض الأدوات التي يقوم مقامها غيرها أو يمكن الاستغناء عنها فما تركه أكثر القبائل من الأدوات «هل» استغناء عنها بهمزة الاستفهام أو بقرينة الاستفهام. ومما تركوه «قد» التي للتحقيق والتي للتقليل استغناء عنها بالقرائن. ومما تركه أكثرهم «لم» التي تدخل على المضارع فتحيل معنى الفعل المثبت الماضي تركوها استغناء عنها بما التي تدخل على الماضي مباشرة فان «ما ضرب» مثل «لم يضرب» بالتمام. ومما تركوه «لما» التي تفيد استمرار النفي في الماضي الى الوقت الحاضر

هذا كل ما عرفته مما تركوه بعد اقامتي زمناً طويلاً في مخالطتهم وسماع شعرهم ورأيتهم أيضاً لا يستعملون التنوين الا للتنكير ولا يحذفون النون للناصب أو الجازم

ويدعي ان هذا التغير ليس من التغير المفسد ثم انه لقلته غير جدير ان يعد قائما إهمال الحركات فهو جائز عند أهل الاعراب في حالة الوقف وماذا على القوم اذا أجروا الكلمات كلها مجرى الكلمات الموقوف عليها واذا ضممت الى هذا

المنزع ما نعرفه من اختلاف لغات الأولين في حالة الاعراب كما نقله الينا الناقلون لم يصعب عليك ان تعد اهمال الحركات لغةً من اللغات هي خير من بعض تلك اللغات التي تفسد كل ما نقلوه من قواعد الاعراب فقد نقلوا لنا ان بعض العرب كانوا يرفعون المفعول وينصبون الفاعل وليس شيء فوق هذا مما يعوق كل ما يرجونه من فوائد الاعراب . ومن أحاط علماً بكل ما نقل في هذا الباب أو أكثره لا يجد قاعدة ما بنوه الا وهي منقوضة بشيء آخر قد سموه من شواذ اللغات فأي ضرر يحدث من هذه اللغة التي تهمل فيها الحركات ويسد فيها باب الاعراب ألم تروا ان هؤلاء القوم يتفاهمون والحالة هذه تمام التفاهم ؟

ولقد قصيت كثيراً من الدواوين المنسوبة الى شعراء الجاهلية والمخضرمين فألفيت فيها كثيرا ما قد خالفوا فيه قواعد الاعراب مخالفة ظاهرة واضحة لا تحتمل التأويل وانما قلت انها ظاهرة لانها واقعة في القوافي وسأفرد لهذا الموضوع مبحثاً مستقلا بيد أني اذكر هنا بأمثلة تؤيد ما قلته . قال جرير :

« حملت امراً عظيماً فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله ياعمرا »

والقاعدة تقضي ان يقول ياعمر بضم الراء . وقال :

« فالشمس كاسفة ليست بطالعة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا »

ولا وجه لنصب القمر . وما تكلفوه من التأويل في الاعراب غير مرضي لدى الاذواق التي سلمت من التعمل . وقال من قصيدة قافيتها نون مكسورة من بحر الوافر :

« عرفنا جعفراً وبني عبيد وانكرنا زعانف آخرينا »

بكسر النون والقاعدة تقتضي فتحها وليس كسرها لغة لقومه فيما روي . وبعد هذا البيت :

« أتوعدني وراءك بني رياح كذبت لتعدمنّ بذاك دوني »

وقال من قصيدة قافيتها باء مفتوحة من بحر الوافر :

« ألم تروا زيد مناة قوم قراسية تذل به الصعابا »

والقاعدة تقتضي رفع الصحاب بعد قوله تذلّ بالتاء . واذا خالفنا الموجود في النسخ المطبوعة والخطية وقرأنا هاء تذلّ » بنون المتكلمين قد يستقيم المعنى ولا يأذى الاعراب فعسى ان تكون صحة الرواية على هذا الوجه. وقال من قصيدة قافيتها راء مكسورة من الوافر:

« لقد نادى اميرك بانكسار ولم يلووا عليك ولم تزار »

والقاعدة تقضي بأن تكون الكلمة التي بعد لم الثانية «تزر» لا تزار

وانا لا اقصد بهذا احداث مذهب جديد هو اهمال الاعراب بل اقصد تأييد ان اللغة العربية التي كانت قبل ثلاثة عشر قرناً او اربعة عشر قرناً او اكثر هي باقية اليوم في وطنها كما هي لم يطرأ عليها تغير ولا سيما عند أهل الخيام العربيين بها واقصد ايضاً ان اذكر الناس بان اهمال الاعراب لا يضر هذه اللغة كما لم يضر كل اللغات المخالفة منه

واما اهمالهم ضمير المثنى فلا ادري له سبباً بيد أني لا أراه كبيراً من الامر بل هو يخفف الكلفة فيها لا حاجة اليه . أقول لا حاجة اليه لان الضمير لا يذكر الا من بعد معرفة الاسم الظاهر اما بذكر لفظه أو بسبق وجوده في ذهن المخاطب فمتى كان الظاهر معروفاً انه مثنى لم يبق لاجل الافادة حاجة الى تثنية الضمير ولم يكن من باس ان يدخل في حكم ضمير الجمع لأن الجمع يصدق على ما فوق الواحد فمتى قلت الرجلان لم يضرك من حيث المعنى ان تقول جاءوا كما تقول ذلك في الرجال ومثل هذا اذا قلت الفارس والراجل تقابلوا بدل تقابلا او اذا قلت الفارسان غلبوا بدل غلبا. ولهذا شواهد وأمثلة من اللغة الفصيحة نفسها وكذلك لا أقصد بهذا احداث مذهب جديد في العربية ولكنني أقصد بيان ان هذا ليس من التغيير المفسد بل هو استغناء عما لا حاجة اليه ومثل هذا يقال في اهمالهم بعض الادوات تخففاً منها او استغناء بغيرها عنها ولا يعوز عن الذي تتبع النقول ان كثيراً من القبائل عندها ما ليس عند غيرها ولا يعدم ترك الآخرين لها تغيراً للغة

***

أثبتنا بما قدمنا ان رأس المال باق على حاله والآن نذكر القارئ بتلك الحركة العربية التي ازدان التاريخ بأخبار همم رجالها فقد نقلت هذه الحركة رأس المال الى ديار كثيرة واسعة قريبا فيها وزادت الديار العربية والمتكلمون باللغة العربية وصارت هذه اللغة لغة علم ودين وسياسة فدونت بها الدواوين التي لا تحصى في كل فن من فنون المعارف

واما ما الآن من هذا الربح حواضر عظيمة في آسيا وافريقيا ففي آسيا ديار العراق استعربت بعد ان كانت فارسية وحواضر الشام استعربت بعد ان كانت سريانية وعبرانية ورومية وفي افريقيا مصر استعربت بعد ان كانت قبطية وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش استعربت بعد ان كانت بربرية ونحن مجموع هؤلاء مستعربي الاقطار

صارت هذه البلاد التي عددنا عربية ولكن ليست عربيتها كتلك العربية الأولى يدان هذا النقص لا يضيرها ولا يخرج بها عن كونها عربية ولا يعدم أهلها سهولة اصلاحها ما دام لهم مرجع من الكتب المنقولة التي تصف العربية الصحيحة او من العرب الاحياء الذين هم وارثو تلك العربية .

اقول ان هؤلاء العرب الاحياء مرجع للمستعربين اذا شاءوا اصلاح لغتهم لان حكمهم على ما اوضحنا كحكم آبائهم الاولين ولن يمكنك ان تحيط خبراً بمخارج الحروف مما يصفه لك كتاب سيبويه مثلا كما تحيط بها خبرا اذا سمعتها من عربي من هؤلاء العرب الذين وصفناهم لك ولن تستطيع ان تأخذ من الكتب اللهجة العربية التي عليها المعوّل فانك تجد اليوم للطرابلسي لهجة وللتونسي لهجة وللعراقي وللشامي وللمصري ولا تجد واحدة منها صحيحة حتى اذا سمعت لهجة البدوي او الحجازي مثلا رأيت جمالا في اللهجة تعرفه الاذن ولا يستطيع ان يصفه لك أحد فاذا سمعت من هذا وذاك من اهل الحواضر ثم سمعت من ذلك العربي مزجت وحكمت بالفرق وآمنت ان وجود العرب في وطنهم امان من ضياع العربية

وأحب هنا ان انبه على امر ربما استدركه على بعض المقالين وهو ان للعرب الناطقين بقايا فروق في المحاضر وانه ينبغي ان لا يسلب هؤلاء صفة العربية

ما داموا حافظين سلسلة انسابهم فجوابي ان يقول هذا القول انسا الآن في صدد اللسان واللغة لاني صدد علم النسب ولا يخفى على اللبيب ان البلاد التي استعربت لم يكن كل اهلها من سلالة ارتنك العرب بل هم خليط اكثرهم من اهل تلك البلاد الاقدمين قد غلبت العربية على لغتهم فاستعربوا من غير ان يفقدوا النطق بالعربية كالعرب وضاهم ابن العربي في هذا المجموع من جهة اللسان اذا كان لم يضع نسبه . ثم حفظ العلماء لكل مخارج العرب وصورة أدائهم الكلمات وأساليب البيان

والخلاصة ان عربية المستعربين طرأ عليها فساد ولكن لها حوافظ وان ذلك شأنها قبل اثني عشر قرناً وهذا شأنها اليوم وقد كان حفظتها يغلطون حيناً ويصيبون حيناً

ولعل الطالع يحب ان يعرف كيف نشاط المستعربين اليوم المنتشرين في افريقيا الشمالية ثم سواحل البحر الاحمر وما وراءه شمالاً الى شواطئ الفرات وغرباً الى شواطئ البحر المتوسط فنقول له ان ابرّ الديار اليوم باللغة العربية هي مصر صانها الله وبارك عليها وعلى أهلها وقبل أن نوضح له برها باللغة العربية نمر به سرعة على جميع مساكن هذه اللغة حتى يكون له نصيب من كل ما يصوم حوم مادة « ع ر ب » كما سبقت الاشارة اليه في صدر هذا الكلام

من اقصر من جزيرة العرب الى نجد ومنها الى العراق يجد ثلاث حواضر تعدها بلاد كثيرة البصرة وبغداد والموصل فاهل ولاية البصرة كلهم يتكلمون بالعربية واهل ولاية بغداد اكثرهم يتكلمون بها واهل ولاية الموصل اكثرهم اكراد بيد ان حاضرة هذه الولاية عربية وفي عربية العراق في الجملة كثير من الفساد ولا سيما في ولاية الموصل . والعربية في العراق واقفة على ما تركها أهل القرون الماضية من العامية لمرماتهم من الصحافة العربية ولولا العلماء والمتعلمون لاضر بها هذا الزحوف ومن سار من ولاية الموصل الى الغرب يلقى في طريقه من الديار العربية ولاية حلب وحلب محسوبة من الشام ولكن ولاية حلب شأنها في هذا الباب عجب فان فيها كثيراً من القرى التركية الى جانب القرى العربية وكل من اهل

هذه وتلك محافظون على لسانهم وعلى اكثرهم بلسان جيرانهم فاما أهل حلب نفسها فعربيتهم كعربية البلاد الشامية ومن اعمال هذه الولاية بلدة تحيط بها التركية والكردية من كل جانب واهلها لا يتكلمون الا بالعربية وهي بلدة « ماردين » التي كان فيها الملوك بنو أرتق وأغرب من هذه بلدة أخرى في ولاية بتليس اسمها « سعرد » فان أهل ماردين قريبون من الديار الجلية التي تغلب فيها العربية واما « سعرد » فهي منقطعة عن الديار العربية أيما انقطاع ، ومتوغلة ضمن الديار الكردية والأرمنية أيما توغل ، وهي مع هذا محافظة على اللغة العربية ولعل كثيراً من عوامها لا يعرفون سواها ولكن عربية « سعرد » هذه نمط مستقل فانهم نسوا بعض المخارج كما نسوا قليلا من مفردات الاسماء واستبدلوا بها من لغات جيرانهم ومع ذلك فيها كل مميزات اللغة من الاشتقاق وأساليب التركيب وبالجملة هي عربية من كل وجه الا انها رديئة كلغات البربرة المستعربين في المغرب .

ومن سار من ولاية حلب الى الجنوب يلقي ديارا معمورة عربية محضة تلجأ الى أربع ولايات ولاية سورية (دمشق) ومتصرفية لبنان وولاية بيروت ومتصرفية القدس ولا أعرف بلادا تختلف لهجة أهليها بمقدار ما تختلف لهجة أهل هذه البلاد ولكن الدخيل في لغتهم قليل كما هو الشأن في مصر ولم يبق في الشام ممن يتكلمون بلغة قديمة الا قرية أو قريتين يتكلمون بالسريانية فيما بينهم على ما بلغنا ومثل هذه المحافظة على لغة ما أكثر من ألف عام في محيط كله أجنبي عن هذه اللغة من غريب الأمور

والعربية في الديار الشامية أمثل منها في العراق كله لأنها غير واقفة هناعلى عاميتها الأولى كما هو الأمر هنالك بل هي سائرة مع الارتقاء الذي أحدثته الصحافة في اللغة في مصر وسورية ومن عرف العامية في البلاد الشامية قبل ثلاثين سنة وعرفها اليوم يشعر بالفرق العظيم الذي أشرنا اليه

فاذا جاوزنا البر الاسيوي الى العدوة الأفريقية وهبطنا فيها مصر نجد أمامنا

العربية كما تركناها خلفنا فاذا سرنا من مصر الى الجنوب وجدناها في السودان المصري واذا سرنا منها الى الغرب ألفيناها في طرابلس فتونس فالجزائر فالمغرب الأقصى

ومن غرائب المصادفات اننا كما نجد مصر واقعة في ملتقى جغرافي بين عرب المشرق وعرب المغرب نجد عربيتها أيضاً في ملتقى حيوي بين العربية المشرقية والمغربية فعربية مصر أقرب الى العربية الصحيحة من سائر عربيات الاقطار المستعربة وما قرب منها أو بعد من المشرق أو المغرب كان قربه الى الصحة على نسبة قربه من هذا الملتقى فلغة الشام وان خالفت لغة مصر هي مثلها أو قريب منها في القرب من اللغة الصحيحة . ولغة العراق ليست كذلك . ولغة طرابلس وتونس قريبة من لغة مصر وليست كذلك لغة الجزائر والمغرب الاقصى

وتمتاز مصر على سائر الديار العربية بأمور أجلها كثرة العدد فليس هناك قطر عربي يقارب عدد أهله عدد أهل هذا القطر فالديار الشامية وهي جارة هذه الديار لا يتجاوز أهلها أربعة ملايين نسمة مع انها تمتد من حدود شبه جزيرة سينا الى جزيرة ابن عمر جنوباً وشمالاً ومن شواطئ البحر المتوسط الى صحراء العرب على هذا الامتداد شرقاً وغرباً وهي مسافة ليست بقليلة ولكن هناك أسباباً كثيرة جعلت سكانها قليلين ومثل ذلك العراق باتساع المسافة ولا يبلغ أهله أربعة ملايين وجزيرة العرب على اتساعها أكثرها فدافد وليس لاهلها من اسمها وصفي لان البداوة هي الغالبة على أكثر بقاعها لكن المشهور أن أهلها كلهم الحجازيين واليمنيين والنجديين لا يتجاوزون ثمانية ملايين وفي أفريقيا أقاليم عربية لا يبلغ أقليم منها في العدد مبلغ مصر فالمغرب الاقصى أكبرها لا يجوزونه الا ثمانية ملايين فأين هذا من اثني عشر مليوناً في مصر

ومما تمتاز به مصر حرية الطباعة والتأليف ونشر الافكار وسهولة الاجتماع وتيسر التعاون فاذا ضممت الى هذه المزايا فوز لغتها بالمكان من العربية الصحيحة اكثر من سائر لغات الاقطار المستعربة تبين لك أن مصر جديرة ان تكون اليوم عاصمة اللغة العربية وأنها احق البلاد بأن تكون محط هذه الرحال ومناط هؤلاء

الرجال ، فأزهرها اسمه بعلم لنا الالوف من الشبان قواعد اللغة وسواقطها من الضياع ، ومطابعها الوافرة تهدي الينا أنفس ذخائر الاولين ، واعلاق النقلة والحفظة من النزام الكاتبين . وعلماؤها الافاضل لا يضنون بوقتهم الثمينة بل يبذلونها في العناية بها من كل وجه يقتضي العناية

ولقد تعهد رجال من افاضل دار العلوم ان يخصوا اللغة العربية بعناية زائدة وأهدونا باكورة مباحثهم وهو مبحث التعريب (جوازه اليوم أو عدمه) فالفينا ثمرات شهية من نتاج هاتيك الافكار الراقية الراقية

وعندي ان جواز التعريب اليوم وغداً كجوازه لسلفنا أمس بديهي بيد ان الذين لم يروه بديهيا اذ مالوا الى عدم تجويزه هم فضلاء كلهم كبار العقول غزيرو المادة فلذلك اوجبت على نفسي ان ابحث عن سر خوفهم على اللغة الذي دعاهم للحذر والتحذير من التعريب وبعد الامعان الطويل وجدت سر ذلك هو شدة الحب للغة

قلت شدة الحب ولم اقل الحب لان الحب موجود عند جمهور أبناء اللغة واما شدة الحب فلا توجد الا عند بعض الافراد من ابنائها وشدة الحب تورث سوء الظن والقلق احيانا بما لا يوجب مثله القلق ومن اقرب الأمثلة التي شاهدتها في هذا الباب انني رأيت على شاطئ النيل رجلا وزوجته ومعهما اولاد ورأيت الاب نزل بأحد الاولاد الى حافة الماء ليسقيه من غير ان تراه الأم ولم يكن من خطر قط في المحل الذي نزل منه فلما صعد به حدثها بنزولها فرأيتها قد اصفر وجهها كأنها تتوقع نزول مكروه ثم لامته لوما شديدا . هذا وهي ترى أنهما قد خرجا سالمين وتعلم ان الاب ليس اقل منها حذرا من سوء يصيب الولد ولكن شدة الحب قرين معها سوء الظن بالعواقب وان كانت سليمة

على هذا المثال نفهم سر حذر اولئك الافاضل من التعريب اي ادخال كلمات في اللغة ليست منها فأنهم على معرفتهم بان مثل ذلك وقع في هذه اللغة نفسها فلم يضرها يحذرون ان يضرها اذا وقع بعد الآن

اني لا احب ان افيض في هذا البحث على طريقة الجدل والمناظرة فان

جواز التعريب في نفي عنه وما نعه قد ذكرنا عذره في خوف منه وسواء أرغبنا من التعريب أم رغبنا فيه ما عنه في المقيقة من محيص . ولكني قد بدت على غير طريقة الجدل والمناظرة لمانع التعريب أنه لا خوف من دخول كلمات اجنبية هي قليلة مهما كثرت على لغة حية يتكلم بها نحو خمسين مليونا متجاورين في المساكن لا يفصل بينهم من الماء الا ترعة السويس . ومنهم نحو ثمانية ملايين من اهلها العربيون القاطنون في وطنهم الاصلي وهي لغة علوم وتاريخ ودين وقد كتب فيها من الصحف الملايين .

لا خوف على لغة خضع اهلها لحكم الديلم والترك قرونا متطاولة من بعد ما خضعوا لحكم اهلها مثل ذلك فلم يدخل فيها من لغاتهم الا نزر لا يعد قد ضاع وقي فيها وهضم في احشائها

انما يخاف على اللغة اذا خلت من مزاياها المعنوية ، اذا خوت من العلم ، اذا خلت من الاهل ، اذا فقدت كل كتبها ، اذا حرمت في المجتمعات كلها كل حظ من حظوظ اللغات الاخرى

لو خيف على لغة من دخول التعريب فيها لكانت تركية الدولة العثمانية احق اللغات ان يخاف عليها لان نصف كلها دخيل من العربي وربعها دخيل من الفارسي والربع الباقي تركي واكثره ادوات ومشتقات ولكن لا خوف على لغة ما من مثل هذا اذا سلمت اساليب التركيب وضاع اصل الدخيل فيها عند الكاتبين والمتكلمين حتى صار كأنه من اصل اللغة . واذا لم يغش على لغة هذا مقدار الدخيل فيها بالنسبة للاصيل بل لا يكاد يوجد الا اذا ترجمت اليها علوم اولئك القوم أصحاب اللغات الاخرى . واني ضير على من بعيد تعلم علم اذا سمع فيه كلمات غريبة لم يألفها اليوم وسيألفها غداً ليست اصطلاحات علم النحو والصرف غريبة عند من لم يعرفها مع انها عربية

قد قلت اني لا احب ان افيض في هذا البحث لهذا اكتفيت بما قدمت والخلاصة انه لا يضر العربية التعريب ولا ينفعها الاعراب وانما ينفعها ويضر فقدها على الحقيقة هجر اهلها فيهجرون بمرور الزمان همهم من سماتها